سنوات الجحيم

أوراق مراسل
صحفي بالعراق

الفصل الثالث

أرض النعمان

obeikan.com

obeikan.com

١ - النعمانية

قادنى الموقف الغريب الذى رويته فى بداية الكتاب وما توصلت اليه بعد سلسلة القراءات عن طبيعة الشخصية العراقية خاصة جانب سلم الولاءات إلى البحث فى إشكالية أخرى هى الطبيعة القبلية أو العشائرية للمجتمع العراقى وعلاقة ذلك بالارتباط بالمرجعية عند الشيعة بالعراق وما يقابله من منظومة أخلاقية ودينية عند السنة وبدأت سلسلة من القراءات عن العشائر العربية شكلت أساسا نظريا قادنى إلى رحلتين فى منطقتتين الأولى ذات غالبية شيعية هى « النعمانية» التابعة لمحافظة واسط وتبعد حوالى ١٥٠ كم جنوبى العاصمة بغداد وهى المنطقة التى لم تشهد مثل باقى مناطق العراق أى أعمال عنف كبرى لاسباب كثيرة أولها الإلتزام العشائري والسكون إلى توجيهات المرجعية العليا بالعراق ممثلة فى أية الله على السيستانى .. أما الرحلة الثانية فكانت إلى منطقة سنية أطلق عليها المراقبون «أرض النار» وهى الضلوعية التابعة لمحافظة صلاح الدين وتبعد حوالى ٩٠ كم شمالى بغداد بسبب ما شهدته من أعمال عنف دموى كانت نموذجا لكل المتناقضات التى شهدها الواقع العراقى خلال الفترة التى أعقبت تفجير المرقدين الشيعيين المقدسين فى فبراير عام ٢٠٠٦ وما غلف المشهد الدموى العراقى من مسميات تأرجحت معانيها بين المقاومة والإرهاب فسرتها وقائع الأحداث على الأرض لمن عاشها ونقلها لى عبر مجموعة من القصص التى أصبحت شاهدا على ما تركته من اثار على البشر والشجر والحجر فى منطقة الضلوعية .. ويوازى الضلوعية ويعتبر امتدادا لها ولعشائرها خاصة « الجبور» منطقة سنية أخرى تسمى « ناحية العلم « وهى تتبع اداريا مدينة تكريت مسقط رأس صدام حسين وهى مركز محافظة صلاح الدين التى تبعد حوالى ١٧٥ كم شمالى بغداد .. هذه المنطقة التى تتميز بجوها الرائع وبساتينها المروية من نهر دجلة رفضت أى تواجد للمجموعات المسلحة ولم تشهد سوى انفجار واحد على مدى زمن المذبحة وفى ذروة أعمال العنف وفشل تنظيم القاعدة فى أن يجد له موطىء قدم فيها وهو ما جعل أهلها فى مقدمة المطلوبين لدى المجموعات المرتبطة بتنظيم القاعدة .. وبمجرد انتماء الشخص إلى تلك الناحية « العلم » كفيل بتنفيذ حكم الاعدام فيه أينما وجد .

تجولت بين المكتبات وأرصفة شارع المتنبى العريق لأجد ضالتى فى عدة كتب ودراسات وفر لى ما لم أجده منها أصدقاء عراقيون من أبناء العشائر العراقية الأصيلة كان أولها « سبائك الذهب » من تأليف الشيخ أبى الفوز محمد أمين بن أبى السعود

محمد سعيد بن أبى البركات عبد الله الشهير بالسويدى .. والكتاب الثانى هو « القبائل العراقية » للعلامة محمد مهدى القزوينى وكتاب « عشائر الألوسى » ومؤلفه محمود شكرى الالوسى وكتاب ابن دريد الشيخ أبى بكر محمد بن الحسن « كتاب الإشتقاق » ثم كتاب « القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم » للشيخ أبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى وكتاب « عشائر العرب » ويسمى « كتاب الدرر والمفاخر فى أخبار العرب الأواخر » للشيخ محمد ابن حمد البسام التميمى وأخيرا كتاب « عشائر العراق » ومؤلفه المحامى عباس العزاوى فى أربعة أجزاء .

٢ - على قبر المتنبى

ما كان «أبو الطيب المتنبي» أو «أبو سورة»، كما يدعونه أهالي مدينة النعمانية، أحد اقضية محافظة واسط (١٥٠ كم جنوب بغداد) ليوبخ غلامه «مفلح» عندما عاتبه على هربه امام «فاتك الاسدي» قائلاً: «أتهرب وأنت القائل : الخيل والليل والبيداء تعرفني .....» لو كان يعلم أن قبره سيوحد العراقيين بعد مئات السنين فيعلو بهم على تمزقات «الصراعات الطائفية» عندما اقيمت أول دورة لمهرجان المتنبى عام ٢٠٠٤ واستمر بعد تعثر ليجمع المثقفين العراقيين كل عام فى النعمانية التى مثلت نموذجا للتعايش الأخوى بين السنة والشيعة فى ذروة أيام المذبحة التى شهدها العراق منذ العام ٢٠٠٥ واستمرت لتحرق الأخضر واليابس خاصة عامى ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ .

وعندما قررت بدء الرحلة إلى النعمانية أبلغنى أصدقاء عراقيون بالكثير من المخاوف التى يمكن أن تحيط بالرحلة خاصة على الطرق المؤدية إلى هناك والتى كانت معظمها طرقا ومصائد للموت يدير بعضها الميليشيات الشيعية ويتولى الجزء الآخر تنظيم القاعدة .. مما يجعل تلك الرحلة مغامرة كبرى قد تنتهى بالموت المحقق .. إلا أن القول الفصل جاء بعد أن عرف اصدقائى من سيكون رفيقى فى تلك الرحلة .. سألنى أحد الأصدقاء الذين كانوا يمثلون مرجعية لى فى الكثير من الأمور طوال السنوات الأربع التى قضيتها بالعراق عن الأشخاص الذين سيتولون أمرى خلال الرحلة فأبلغته بأسمائهم وانتماءاتهم ونسبهم العشائرى فاطمأنوا قليلا .. عندما أبلغتهم عن وجهتى أنه شيخ عشيرة أولاد بركة التى يعود أصلها إلى قريش وكذلك الشيخ كريم شيخ السوالم .. أبلغتهم أنى سأزور أيضا خلال الرحلة رجلا يعتبره الشيعة والسنة معا قيمة روحية عالية وهو « السيد مالك الياسرى» .. عندها بارك صديقى خطوتى بعد أن اطمأنوا تماما مع الدعوات بالتوفيق والنجاة من

شر الطريق .

دلفنا من طريق محمد القاسم السريع مرورا بمنطقة الرستمية التى تحتضن احدى القواعد الأمريكية .. وفى الطريق بدت آثار التفجير الذى دمر جسر ديالى بشاحنة مفخخة وقد سمى الجسر بهذا الاسم لأن نهر ديالى يمر أسفل الجسر إلى مناطق شرق بغداد فى محافظة ديالى .. ثم عرجت السيارة التى يقودها « رياض» الشيعى الطيب الذى يقطن فى مدينة الصدر وهو أحد المرافقين لوكيل وزارة الداخلية أحمد الخفاجى على منطقة «جرف النداف « وكانت إحدى بؤر الإرهاب الأسود حيث تمتد مزارعها وبساتينها ومناطقها المفتوحة لتمثل حاميات طبيعية للمسلحين الذين استغلوا أرضها التى تنبت الخير كأوكار للشر والقتل ومارسوا فيها ابشع أعمال العنف بعد أن أغرتهم تضاريسها على الاختفاء والمناورة .

ثم عرجنا إلى « دوار الموت» كما يطلق عليه العابرون إلى مناطق الجنوب الشيعى وهى « فلكة سلمان باك » / يطلق العراقيون على الميدان كلمة فلكة بكسر الفاء/ ومنطقة سلمان باك أو « المدائن» تسمى بهذا الإسم نسبة إلى الصحابى الجليل سلمان الفارسى وبها بقايا ايوان كسرى أو « طاق كسرى « الذى انطفأت نيرانه عند مولد الرسول عليه الصلاة والسلام .. ثم يتفرع الطريق إلى البسماية والنهروان وهى بلدة فقيرة يبلغ عدد سكانها مائة ألف وهي معقل رجال الميليشيات الشيعية في المنطقة الريفية جنوب شرقي بغداد وهي من الاماكن التي أختبرت فيها هذه استراتيجية جديدة طبقها الجيش الأمريكى مثل غيرها من المناطق السنية وهى أنه يجب أن يوفر الأمن للناس إذ أن «الناس تميل للتحالف مع الجماعات التي تضمن لها الأمان.» ويتعين إقامة روابط متبادلة بين الجيش والمبادرات الاقتصادية والسياسية.

ويروى مرافقى على « أبو سجاد» وهو شيعى من سكان منطقة الزعفرانية أن صدام حسين كان قد أعاد توطين آلاف الشيعة في هذه البلدة مما جعل النهروان جيبا شيعيا محاطا بمجتمعات سنية مسلمة صغيرة وعندما تم تفجير مرقد الإمامين العسكريين فى فبراير عام ٢٠٠٦ أصبحت النهروان ساحة قتال لعنف طائفي وحشي.

وبعد بضع ساعات من الهجوم على أحد المساجد أخرج مسلحون من السنة ٤٧ شيعيا من قافلة مركبات وأطلقوا النار على رؤوسهم وألقوا بهم في قناة مائية وبعد أسبوع قتلوا ٢٥ شيعيا في مصنع للطوب وأربعة في محطة كهرباء قريبة.

وفي ظل غياب وجود عسكري أمريكي دائم في المنطقة لجأ السكان الشيعة إلى ميليشيا جيش المهدي بقيادة مقتدى الصدر وعندما بدأت القوات الامريكية في الوصول إلى المنطقة عام ٢٠٠٧ في اطار زيادة عدد القوات واجهت هجمات متوالية من

جانب رجال الميليشيات الشيعية وتحولت النهروان إلى منطقة شديدة الخطورة.

وتحركت القوات الأمريكية لاعتقال قادة الميليشيات وبدأت في القيام بدوريات في البلدة ووضعت خططا اقتصادية وسياسية في محاولة لتحسين الرخاء والحكم والأمن.

وعلى مسافة قصيرة من السوق تنقل الرافعات كتلا كبيرة من الخرسانة لبناء جدار واق لموقع أمريكي في وسط البلدة - في تحول عن السياسة القديمة المتمثلة في إبقاء القوات في قواعد كبيرة بعيدة عن المراكز السكانية.

حيث عمل الجنود الأمريكيون مع المجلس المحلي وزعماء العشائر على دعم مشروعات إعادة البناء والمشروعات الانسانية وتجنيد سكان محليين لتولي نقاط التفتيش ومراقبة المنطقة بدلا من نقاط التفتيش الوهمية التى كانت تمارس القتل على الهوية الطائفية حتى بداية العام ٢٠٠٨ وكانت الطرق التى نسير فيها خلال رحلتنا إلى النعمانية تسمى طرق الموت .

غادرنا العاصمة عبر بوابة بغداد الجنوبية التى كانت أكبر مناطق نقاط التفتيش الوهمية لنصل إلى الصويرة حيث كان نهر دجلة فيها مصبا للجثث مجهولة الهوية التى يتم القاؤها فى النهر بعد تعذيبها وذبحها فى المدائن والنهروان وجرف النداف .

ويروى مرافقى « أبو سجاد» أن السلطات العراقية نصبت شبكة كبيرة في هذه المنطقة لالتقاط الجثث بدلا من أن يجرفها التيار إلى مناطق بعيدة من نهر دجلة حيث يتم دفنها فى مقابر جماعية بعد تشوهها وانتفاء هويتها لتصبح « مجهولة الهوية « .

عندما وصلنا إلى منطقة الحفرية التابعة لقضاء الصويرة أصر رفيقا الرحلة على زيارة أحد المراقد الشيعية وهو « مرقد سيد تاج الدين» الذى يعود نسبه إلى الإمام موسى الكاظم / الإمام السابع لدى الشيعة الجعفرية/ الذى يرتاده المئات يوميا للزيارة .. وواصلنا مسيرتنا إلى العزيزية والزبيدية والدبونى لنعرج إلى مقصدنا وهى مدينة النعمانية .. حيث أشار مرافقى إلى طريق رئيسى يعبر فيه الزوار الشيعة القادمين من إيران عبر معبر « بدرة» الحدودى بين العراق وإيران للذهاب إلى كربلاء المقدسة من خلال الطريق المؤدى إلى الديوانية والنجف وكربلاء .

عندما وصلنا إلى النعمانية كانت وجهتنا الأولى قبر الشاعر « أبو الطيب المتنبى » وتلقيت ترحيبا شديدا من القائمين على الضريح عندما أخبرهم مرافقى أننى صحفى من مصر .. ورغم انتهاء الوقت المخصص للزيارة إلا أنهم فتحوا لنا أبواب

الضريح وسمحوا بالتقاط الصور .. وكيف لا وأنا من مصر العروبة وقد حللت ضيفا على أهل الطيبة والكرم .

يرقد المتنبى فى ضريحه المهيب مستريح البال بعد أن ملأ الدنيا ضجيجا وشغل الناس في حياته المليئة بالاحداث التراجيدية وجذب النقاد لعبقريته الشعرية، وهو اليوم يشغلهم في الخلاف على موقع قبره والمكان الذي شهد مأساته الأخيرة .. ربما كان المتنبى أكثر سعادة اذا سمع قول كاتبنا العملاق عباس محمود العقاد يقول «

خلعت اسمي على الدنيا ورسمي فلا أنعي رحيلا أومقاما

هو الشاعر العربي الكبير أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الكندي الكوفي ولد عام ٣٠١ للهجرة في الكوفة وتوفي في ٣٥٤ عن عمر يناهز ٥٣ عاما .. درس في الكوفة وهى بلدة تقع على بعد ٢٠ كيلومترا شرق مدينة النجف ثم سافر إلى بادية الشام فأتقن العربية بعدها عاد ليحترف الشعر وبدأ بمدح رجال الكوفة وبغداد قبل أن يتنقل بين مدن الشام ليمدح شيوخ البدو والأمراء والأدباء.

رافق المتنبي سيف الدولة الحمداني، وصار شاعره وصديقه المقرب، وعاشا معاً في بلاط سيف الدولة في حلب تسع سنوات يغدق سيف الدولة عليه المال، ويفيض المتنبي بأروع القصائد في مديحه.

لكن الوشاة أفسدوا علاقتهما، فهرب إلى مصر، التي لم يحقق مطامحه فيها فانتقل إلى العراق متنقلاً بين مدنه .

وكان مصرع المتنبي على يد أحد الذين هجاهم وهو «فاتك بن أبي جهل الأسدي» قرب موقع دير العاقول بقضاء النعمانية وتقول الروايات أنه أثناء مواجهة المتنبي للاسدي ورجاله بدير العاقول شعر المتنبي بأن الدائرة تدور عليه فهم بالهرب من المواجهة لكن خادمه قال له أتهرب وانت القائل (الخيل والليل والبيداء تعرفني.. والسيف والرمح والقرطاس والقلم) فقال له المتنبي : (قتلتني ورب الكعبة)، فعاد وتبارز مع فاتك ورجاله حتى قتل وكان ذلك آخر شهر رمضان سنة ٣٥٤ هجرية الموافق (٩٦٥ ميلادية.

قال المتنبي قصديته الشهيرة والتي كان مطلعها:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

انام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

هذه كانت أبيات قصيدة المتنبي إمام شعراء العربية في كل العصور الذي كان له

من اسمه نصيب حيث اثبتت الأيام صدق نبوءاته وشغل الناس في مماته أكثر مما شغلهم في حياته..

تعددت الأحاديث عن مكان قبر المتنبي، فمنهم من يقول :إن قبره يقع فى منطقة (تلول العزيزية) على مسافة ٨٠ كم إلى الشمال من الكوت مركز محافظة واسط، وهناك من قال أن مقتله كان قرب بلدة جصان (٦٥ كم شرقي الكوت)، بينما يرى القسم الآخر أن مقتل المتنبي كان قرب ناحية الزبيدية إلى الشمال الغربي من الكوت، إلا أن جميع الأمكنة المذكورة هي في محافظة واسط التي تحتضن جسد الشاعر وولده محسد وغلامه مفلح .

يقع ضريح المتنبي على مقربة من بلدة النعمانية، على الطريق العام الواصل بينها وبين الزبيدية، ويحتل مساحة تقدر بأربعة دونمات (عشرة آلاف متر مربع) وتضم المقاطعة التي يقع فيها الضريح عدداً من المواقع الاثرية أهمها قصر النعمان بن المنذر الذي يقع إلى الشمال من ضريح المتنبي بمسافة نحو خمسة كيلومترات على شاطئ دجلة.

ويتبرك أهل النعمانية بضريح المتنبي، ويطلقون عليه لقب « أبي سورة » وهي تسمية جاءت نسبة إلى المياه التي تسوّر الضريح في مواسم إرواء الزرع وعند موسم المطر دون أن تلامسه أو تصل قريبا منه على الرغم من استواء الارض.

وتشير جميع الدلائل التاريخية إلى المكان الذي قتل فيه المتنبي فتؤكد انه مكان الضريح الحالي، حيث إن وفدا من دائرة الآثار والتراث زار المنطقة في السبعينيات من القرن الماضي وأكد أن الشواهد والأدلة والوثائق تؤكد أن المكان الذي قتل فيه المتنبي هو «دير العاقول» أو «البغيلة» إلى الشمال من مركز بلدة النعمانية بنحو ألفي متر، وكان الضريح عبارة عن مبنى بسيط من الطين في الأربعينات من القرن الماضي شيده صاحب شكوري الحمود، من عشيرة الدليم التي تسكن المنطقة.

وشيّدت هيئة الآثار العراقية الضريح بعد تحويله إليها مطلع الثمانينات من القرن الماضي على هيئة نصب يتألف من ستة أعمدة ارتفاع كل منها ١٣ مترا تلتقي في الأعلى في قبة تطل على القبر تحتوي على زخارف جميلة تضفي على المقام هيبة وجلالا.

وقد الحقت بالضريح فيما بعد منصة للاحتفالات ودار استراحة ومكتبة وابنية خدمية وإدارية.

ويحيط بالضريح سور حديدى تم تزيينه بكلمات المتنبى التى يقول فيها :

انا الذي نظر الأعمى إلى ادبي وأسمعت كلماتي من به صمم

وأسمعت كلماتى من به صمم « وقد جرى حفرها بشكل واضح أعلى السور.

في عام ٢٠٠٠ شهد الضريح حملة إعمار واسعة فتم تسييج المكان وترميم الضريح وإيصال الماء والكهرباء له واكساء الطريق الذي يربطه مع الشارع العام نعمانية ــ زبيدية بالاسفلت بعد أن كان ترابيا ، كما تم بناء منصة للاحتفالات ودار استراحة ومكتبة وأبنية خدمية وإدارية ملحقة به.. وغالبا ما تأتى النساء ليخضبن الضريح بالحناء لدفع البلاء أو لطلب شيء معين، أو التبرك به وهى تقاليد معروفة تمارس أثناء زيارة العتبات المقدسة والأئمة الأطهار، وهناك من يقدم له النذور وعند بعض العائلات يستخدمون ضريح المتنبي لفطام ابنائهم ودفن (السرة فيه) كونه احد المواقع المباركة عندهم .

٣ - بستان الحب

تقع مدينة النعمانية التى تبعد حوالى ١٥٠ كم إلى الجنوب من العاصمة بغداد على ضفة نهر دجلة في محافظة واسط وهيَ مدينة تكثر بها بساتين النخيل والفواكه، وتضم منطقة لصيد الطيور البريه والغزال البري وتوجد بها آثار مدينة المناذرة

ويعتقد أن ملك اللخميين بن المنذر الرابع الملقب بأبي قابوس انشأها واتخذها مقرا له واستوطنت النعمانية عائلات كثيرة قبل الاسلام بمائة سنة ويقال أن عدد نفوسها بلغ سنة ٨٥٠ هجرية نحو ٤٥٠٠ نسمة ولكن المدينة افل نجمها في فترة حكم العثمانين للعراق بسبب عوامل كثيرة منها الفيضانات المستمرة والكوارث الطبيعية حتى اصبحت عام ١٢٩٧ هجرية مدينة مهجورة فيها صرائف واكواخ وقام الوالي تقي الدين باشا عام ١٨٨٢ ميلادية باعادة تخطيط المدينة وبنى دورا ودكاكين فيها.

والنعمانية كانت تسمى آنذاك بـ«البغيلة» نسبة إلى نهر البغيلة وموقعه حاليا بالقرب من شارع الكورنيش الجديد الذي تزينت به وتجملت .

والنُعمانيّة بضم النّون وهي بلدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق، على ضفة دجلة، معدودة من أعمال الزاب الأعلى. (معجم البلدان: للحموي٥/ ٢٩٤

والنعمانية(بالفتح) بليدة بين الحمى والحلب ويُنسب إليها أبو العلاء أحمد بن عبد الله الضرير (أبو العلاء المعري) كما في تلخيص الآثار، وأيضاً تطلق على اسم وادٍ في طريق الطائف والنعمان (بالضمّ) اسم لجماعة أعاظم، منهم النعمان بن المنذر الذي هو من الملوك وإليه ينسب الورد المعروف بشقائق النعمان. (مقدمة كتاب الغيبة للنعماني، ط١ــ تبريز)

فيما يرى البعض أن التسمية جاءت نسبة إلى اسم احد انواع السفن التي اشتهر اهالي القضاء بصناعتها.

وكان عام ١٩٣٠ ميلادية شهد تغيير تسمية «البغيلة» إلى تسمية النعمانية لتصبح في هذا التاريخ ناحية تابعة لمدينة الكوت مركز محافظة واسط وتبعد ١٧٢ كم جنوب بغداد وفي عام ١٩٦١ تم رفع درجتها الإدارية إلى قضاء وأول من تولى منصب القائمقام في النعمانية هو هاشم ناجي الهرمزي، وترتبط به ناحية واحدة هي الأحرار والتي كانت تعرف سابقا بتسمية «الحسينية» نسبة إلى اسم نهر صغير يجري فيها، وقد تم اكتشاف النفط فيها عام ١٩٧٩ و باشرت شركة صينية بموجب عقد مع وزارة النفط الاعمال الخاصة باستثمار النفط في الابار الموجودة في الناحية مطلع العام الحالي.

وعرفت النعمانية ايضا بتسمية دير العاقول نتيجة لكثرة انبات أرضها لنبات العاقول وهو من النباتات البرية الطبيعية، ويرى بعض المؤرخين أن كلمة العاقول هي تحريف للكلمة الارامية عاقولا والتي تعني منعطف الطريق.

ولموقع النعمانية اهمية جغرافية كبيرة لوقوعها في منتصف الطريق الواصل بين العاصمة بغداد ومحافظات الجنوب وهى البصرة وميسان وذى قار وكذلك لوقوعها على الطريق المؤدي إلى محافظات كربلاء والنجف المقدستين. يقع مركز قضاء النعمانية في الشمال الغربي من مدينة الكوت وتبعد عنها (٤٥)كم وتقع في الجنوب الغربي من مدينة العزيزية وتبعد عنها بمسافة (٦٠)كم تحدها من الشمال ناحيتي الزبيدية والدبوني ومن الجنوب ناحية الأحرار ومقام المهدي (عليه السلام) ومن الشرق هور الشويجه والغرب نهر المالح الذي يفصل بينها وبين محافظة بابل.ويتوسطها نهر دجلة وتمتاز بخصوبة الأرض وتوسط الموقع وعذوبة الهواء لذلك كانت مصيفا. تبلغ مساحة القضاء (١١٠٠٣)كم٢ بموجب الإرادة الملكية المرقمة ٢٧ والمؤرخة في سنة ١٩٢٣.

أما الطبيعة الديموجرافية للمحافظة بشكل عام وقضاء النعمانية بشكل خاص والذي يمكن اعتباره مجسماً للتعايش السلمي بين ابناء الطائفتين السنية والشيعية متمثلة بعشائر الدليم التي تقطن المنطقة وتشارك العشائر الشيعية التى لها امتدادات سنية فى محافظات أخرى فالعراق واحد « سنة وشيعة» حيث تسكن قبائل عربية تمتهن الزراعة والرعى وصيد السمك ومن أشهر عشائر المدينة عشيرة قريش المشهورة التى كانت ضيافتنا فى ديوان أحد شيوخ أفخاذها الكثيرة وهم أولاد بركة إضافة لباقي العشائر وفيها من الكوادر العلمية الطبية والهندسية كما تشتهر هذه المدينة بوجود

عدد من الدواوين والمنتديات الأدبية والاجتماعية ويشتهر أهل المدينة بالطيبة ومساعدة الآخرين وذلك لاحتفاظها بالقيم الإسلامية والعربية الأصيلة ولها مواقف مشرفه في تاريخ العراق الحديث وقدمت العديد من قوافل الشهداء لوقوفها بوجه الانحرافات السياسية .

وكان لتكوين الأرض الرسوبية للنعمانية مما حمله نهر دجلة وروافده وترسباته اثر كبير فى أن تكون النعمانية واحدة من بين المناطق الزراعية المهمة في المحافظة. . كما توضح الاكتشافات الأثرية أن ارض النعمانية كانت مغمورة بمياه البحر في العصر الحجري، وبحكم اختراق نهر دجلة مدينة النعمانية فإن المدينة مقسمة إلى ضفتين اليمنى ويسكنها خليط من العشائر أبرزها عشائر قريش وتتمركز في مركز المدينة وبالريف وكذلك زبيد والكلابيين والهليجية والنصيرات والبيات والكرد الفيلية والسادة آل الحبوبي والعواودة والزوامل والغرابات وخفاجة والدفافعة والوائلية وبعض العشائر الأخرى أما الضفة اليسرى فتنتشر فيه عشائر شمر.

ويلاحظ زائرها أن على ضفتي النهر آثار جسر (سيار) كان يطلق عيه ايضا تسمية (الثريمة)، ثم تم انشاء جسر خشبي مكون من مراكب تم ربطها بعضها ببعض وتثبيت اطرافه بدعائم حديدية، وفي عام ١٩٧٤ تمت المباشرة بتنفيذ جسر حديث اكتمل عام ١٩٧٩.

ويعتمد اقتصاد النعمانية بالدرجة الأساس على الزراعة وخاصة زراعة محصولي الحنطة والشعير إلى جانب زراعة القطن والأرز والخضروات وأشجار الحمضيات والتمور وتربية الأبقار والجاموس والأغنام كما وتوجد أعداد كبيرة من حقول الدواجن ومعامل إنتاج الأعلاف، كما تمتاز بصناعاتها اليدوية البسيطة بالإضافة إلى وجود معامل الصناعات التحويلية الغذائية والبلاستيكية وأهمها شركة صناعة المعجون والمخللات التي تم انشائها عام ١٩٧٥.

وتمتاز النعمانية ايضا بوجود الاسواق والحوانيت والوكالات التجارية والمطاعم والمقاهي وقد دخلت مقاهي الانترنت اليها مؤخرا ولاقت رواجا كبيرا بين أبنائها بمختلف مستوياتهم العمرية والثقافية.

وتوجد مكتبة مركزية واحدة تأسست عام ١٩٣٠ تضم حاليا آلاف الكتب في مختلف العلوم والمعارف وكانت أول مدرسة ابتدائية أسست هي مدرسة «النعمانية الأولية للبنين».

وشهدت النعمانية افتتاح أول مستوصف صحي على يد طبيب لبناني يدعى شاكر فرنجيه وقد تبرع السيد (شنابة الياسري) الذي يعد واحدا من أقدم سكنة

القضاء بدار عائدة له لتكون المكان المخصص لهذا المستوصف وكان أول مضمد صحي عمل في هذا المستوصف شخص يدعى علي القريشي.

توجد ثمانية مشاريع اروائية مشهورة في النعمانية هي«الروضان» و«عوينة» و«الجمهورية الغربية» و«الحجام» و«الجمعية» و«شاذي»

وللحركة الرياضية في النعمانية أثر ملموس فملعبها الرياضي يعود تاريخ تأسيسه إلى عام ١٩٦٥ وهو مخصص لمختلف الألعاب الرياضية وفيها نادي رياضي ومنتدى للشباب وبرز من الرياضيين الرباع رياض صبحي خضير الذي احرز بطولة العرب واسيا برفع الأثقال عام ١٩٨٩ وكذلك حصول شقيقه خضير صبحي خضير على لقب بطل آسيا عام ١٩٩٢ وكذلك لاعب كرة القدم نوري ذياب وبطل العراق بالوثبة الثلاثية الرياضي محمد حمزة .

ومن بين ٤٢٠ موقع أثري في محافظة واسط يوجد عدد كبير في قضاء النعمانية وأبرزها على الإطلاق موقع «تل الولاية» وأهميته ناشئة عن كونه يضم بقايا مدينة «لارك» السومرية والتي ذكر أسمها في الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري وهذه المدينة تعد احدى المدن الخمسة التي حكمت العراق القديم قبل حدوث الطوفان و تم القيام بأعمال التنقيب في هذا الموقع لمدة خمس سنوات ، تم على إثرها نقل أكثر من ٣٠٠٠ قطعة أثرية إلى المتحف الوطني في بغداد وهذا الموقع يعد من الناحية التاريخية مهم نظرا لضمه ثلاثة أدوار حضارية تاريخية تمثل عصور الحكم السومرية والآكدية والآشورية.

ويوجد في النعمانية أكثر من عشرين تل أثري يتراوح تأريخها بين العصر البابلي والعصر العربي الإسلامي منها تل أبوصخي وتل النعمان وتل كليبه وتل أم حلانه وتل الروسيات وتل سمر وتل أبو ذهب وتل الصخرية وتل قوم لوط وتل المصابحية وتل اتويم وتلول السود وغيرها من التلول إلى جانب مواقع أثرية من أهمها «قصر النعمان» الذي يطل على نهر دجلة ويبعد قرابة ٥ كم عن مركز المدينة « مقبرة الحيثيين» قرب نهر دجلة و«بلاط الملك» و«مخازن الملك» عند مدخلها الشمالي وكذلك وجود آثار «النجمي» على مبعدة ١١ ميل غربي المدينة وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن هذا الموقع الأثري هو موقع دفن الشيخ (البجلي) وتوجد بالقرب من آثار النجمي آثار «النيليات».

ويوجد في النعمانية عدد كبير من الدواوين أبرزها دوواين «حبيب الخطيب» و«ال الحبوبي» و«بيت جبارة» و«بيت قرطاس» و«مجيد الحمامي» و«كريم الخطيب» و« سيد صادق» و«صاحب الشاهين» وإعلان العجم و«جليل الهبان».. حيث تشهد هذه الدواوين

عملية تزاور من قبل اهالي النعمانية للتعبير عن محبتهم واحترامهم المتبادل وكذلك تعد مكانا لحل النزاعات العشائرية بالطرق السلمية وأهل النعمانية عموما يتصفون بالأخلاق العالية وحب الضيافة والكرم العربي .

وتشتهر النعمانية بزراعة القطن والذرة الصفراء والحنطة بالإضافة إلى زراعة الفواكه والخضروات وفيها غابات تضم اشجار الصنوبر وتعرف بتسمية غابات النعمانية وهي من بين وتبتعد عن أرض المدينة عدة أهوار من أشهرها هور الشويجة الواقع في الجهة الشرقية من نهر دجلة شمال شرقي مدينة الكوت وهو قليل العمق يجف في بعض فصول السنة وهور الدلج الذي يقع في الجهة الغربية من نهر دجلة ويمتد حتى مدينة الديوانية.

وفي النعمانية يقع مقامٌ شريفٌ ينسب إلى الإمام المهدي عليه السلام فيقال له : مقام الإمام المهدي في منطقة تدعى (أم عكيط) وهو على جادة الطريق بين النعمانية وواسط (الكوت)، يبعد عن النعمانية نحو (١٥) كيلومتراً، وعن مدينة الكوت نحو (٢٢) كيلومتراً، ويقع المقام على يمين الذاهب من النعمانية إلى الكوت، ومن الخلف عن نهر دجلة نحو ١٥٠ متراً، ومنطقة أم عكيط اليوم تابعة للنعمانية التي هي من أقضية محافظة واسط:

قبل الدخول إلى المقام يرى القاصد إليه عدّة قبور من جهة اليمين اتُّخذت مدفناً لأطفال أهل المنطقة، وعلمت أخيراً أن الناس مُنعوا في الآونة الأخيرة من الدفن في هذا المحل، وعن اليسار توجد مغاسل للوضوء أُنشئت حديثاً في العمارة الأخيرة للمقام، وتبلغ مساحة المقام الكلية نحو (٢٠٠٠) م مربع مسيّجة بالآجر، وللمقام ثلاثة أبواب خارجية. وعند الدخول للمقام تجد ساحة خارجية فيها عدة أشجار من السدر والنخيل، ومن أمام المقام وخلفه عدّة محلات تجارية عن اليمين واليسار لبيع ما يحتاجهُ الزائر من أمور ضرورية، وفي الجهة الجنوبية الشرقية رأينا هيكل بناء لم يتم لحسينية كبيرة.

وقبل الدخول للمقام تجد إيواناً كبيراً جُعل لخدمة الزائرين فيه عدّة أعمدة، ثم تدخل من باب حديدي للمقام طوله ٢م وعرضه ٣م ولونه أخضر، يعلوه دعاء (اللهمّ كن لوليّك...) فعند دخولك تجد رواقاً يحيط بروضته المقام من جميع الجهات، فمن الجهة الشمالية تجد باباً للدخول إلى الروضة، وعن يمينك محراب دال على جهة القبلة معمول بالقيشاني الأزرق، وعدة ألواح معلّقة ذُكرت فيها الزيارة ورواية ابن أبي الجواد النعماني المخصوصة بهذا المقام وزيارة أخرى للإمام المهدي عليه السلام.

وعن اليسار توجد مكتبتان صغيرة وكبيرة من الساج الأصلي، فيهما عدة مصاحف وكتب متنوعة العلوم من الفقه والسيرة والتاريخ وما شاكلها.

وهناك لوحة كتب عليها دعاء أهل البيت المعمور (المشهور).

وفي الرواق الغربي يوجد منبر للوعظ والإرشاد، وفي هذه الأروقة ٢٢ شباكاً تطل على المساحة الخارجية للمقام، ثم تدخل إلى روضة المقام وهي المكان الأصلي للمقام، وللروضة هذه أربع فتحات لدخول المقام والخروج منه، يعلو الروضة قبة كبيرة مساحتها ٨م مربع، وبجوارها منارتان ارتفاع كل منهما٣٠ متر، ولون القبة من الخارج أخضر، وهي ذات شبابيك عددها ثمانية، وعرض الروضة ٤١٧ متراً وارتفاعها ٢٧ متراً، ويتوسط الروضة ضريح يُنسب إلى محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام والمشهور بالصوفي.وعرض الضريح ٣م وارتفاعه ٥/ ٢ م وهو من الألمنيوم، وأعلى الضريح مزين بالزجاج، وعلقت عليه عدّة ألواح كتب فيها رواية ابن ابي الجواد النعماني، وفي احدها زيارة لصاحب القبر ونسبه .

٤ - سيد مالك

فى إحدى قرى النعمانية ذات البساتين الممتدة كنهر من الخضرة وعبر طريق مرصوف يفترش البسطاء جانبيه مثل أشجار تزينه سعيا إلى مزار ليس كغيره من المزارات ،اصطحبنى إثنان من شيوخ المنطقة هما الشيخ محمد مهدى صالح ردام شيخ أولاد بركه « عبد النعيس» والشيخ كريم كاظم السالمى شيخ السوالم ويعود نسبهما إلى قريش التى تضم ١٢ عشيرة ويتمتعان بمكانة رفيعة فى تلك المنطقة من النعمانية التى تضم عدداً كبيرا من القرى ويعمل أهلها بالزراعة والتجارة وكان مقصدنا أحد البيوت الأطهار كما يسمونه أهل المنطقة ينتسب صاحبه إلى أهل بيت النبى عليه الصلاة والسلام وهو من السادة الياسريين ويدعى سيد مالك الياسرى .

ويعود نسب السيد مالك إلى السيد دنبوس الياسري (١٨٨٤ – ١٩٣٩م) ابن كاطع بن بطي بن حمود بن عزيز بن علي بن ياسر الصغير . ولد في أرياف قضاء الحي منطقة البكع بمحافظة واسط . كان ذا مقام جليل ، فضلاً عن امتلاكه ثروة طائلة سخّرها لصالح الفقراء والمحتاجين . برع في فض المنازعات واجتهد في حسم كثير من قضايا العشائر العويصة وكان كريماً إلى أبعد الحدود، وديوانه من الدواوين المباركة التي لها مكانة خاصة في تلك المناطق ، وكان له مجلس في ديوانه قيلت فيه الأحاديث الدينية والأشعار والقصص ، شكل مدرسة للتقاليد الريفية الإيجابية . .أعقب السيد دنبوس ثلاثة رجال هم : مالك ، وعبد الله ، وحبيب.

والسيد مالك بن دنبوس بن كاطع بن بطي بن حمود بن عزيز بن علي بن ياسر الصغير ولد سنة ١٩٣٦م في قضاء (النعمانية) في محافظة واسط ، ومنذ نشأته الأولى رأى العامة تفتخر بمكانته فازداد تواضعاً وتوداً ، فالتودد حسب اعتقاده نصف العقل أن لم يكن كل العقل، لأن الإنسان إذا سلك طريق الحب والتواضع ، حمل الناس على حبه والميل له ، كان منهجه هذا في التعامل الاجتماعي السبب الأول في توافد الناس على مضيفه حتى أضحى مضيفه قاعدة العشائر كلها .

والسيد مالك الياسري سيد جليل ومصلح ذات البين ، كان في مضيفه طبيباً اجتماعياً لكل الناس . يطيّب لهم الاختناقات التي تجدّ لهم ، ويعالج الجراحات الاجتماعية ، وينهي كل مشكلة أو قضية عصية ، فقد أصلح مئات القضايا التي كادت تصبح مثار حروب بين العشائر والطبقات ، وهو أيضاً خبير في الزراعة القديمة والحديثة ومزارع كبير ورث أراضيه من أجداده السادة . سخي الوجه والروح فيعطي المعوزين بلا منة ويوزع فيوض حلاله بأمانة الدين والأعراف .

عندما وصلنا مشارف الطريق المؤدى لبيت سيد مالك الذى لم يتوقف الحديث عنه طوال الطريق اليه من قرية أولاد بركه والذى استغرق حوالى ٣٥ دقيقة داهمنى مشهد بقدر غرابته إلا أننى توقعته من خلال روايات الشيخين الذين رافقانى فى الرحلة ، حيث اصطف الناس على هيئة طابور طويل وما أن يصل أحدهم إلى باب السيد مالك حتى ينحنى يقبل الحائط ويمسحه بيديه كما يفعل المسلمون عند الحجر الأسود ، فالرجل يحظى بمكانة تقترب من القدسية لدى أهل النعمانية والمدن المحيطة بها حتى أن أحدهم قال لى لا تكتمل زيارتك دون المرور على سيد مالك وندعو الله أن يوافق على طلب اللقاء به !! .

زادنى الحديث والمشهد فضولا لأن أرى هذا السيد الذى يعتبره أهالى الكوت ومناطق أخرى رمزا دينيا يطلبون منه البركة والدعاء ليس فقط فى هذا العهد الذى أتاح الحرية الدينية للشيعة وإنما منذ عهد صدام حسين الذى كان سيد مالك يحظى خلاله بمكانة كبيرة ويرتاد مضيفه المسئولين والحكام طلبا للدعاء والرأى فى بعض المشاكل والأمور الدينية والدنيوية .

بعد ١٠ دقائق من الإنتظار خارج منزل سيد مالك عاد شيخ أولاد بركة ليبشرنى بموافقة السيد على لقائى بعد أن عرف أننى مصرى مع نصائح لى بعدم التطرق إلى أمور سياسية أو أسئلة صحفية لأن السيد مالك لا يحب الإعلام كثيرا ،مؤكدا فى الوقت نفسه أننى « وجه خير» لأنه سعى إلى لقائه منذ أشهر ولم يتمكن من ذلك بسبب كثرة مشاغل السيد وتقدمه فى السن.

عندما دخلنا إلى باحة منزل سيد مالك الياسرى شاهدت ثلاث سيارات مرسيدس بيضاء اللون تحمل لوحات معدنية بأرقام / ٧ ، ٨ ، ٩ واسط / وهو ما يؤيد الحديث عن مكانة السيد فى المنظومة الإجتماعية فى المحافظة .. وعندما دخلنا إلى المضيف شاهدت سيد مالك يحيط بعدد كبير من الشيوخ والمسئولين فى مشهد لا يخطئه مراقب يدلل على مكانة السيد الرفيعة .

توجه المرافقون لى وبينهم الشيخان محمد وكريم إلى السيد مالك ليقبلا يديه ورأسه ويطلبان الدعاء وصافحت السيد الذى طلب منى الجلوس بجواره مرحبا بإبن النيل ومصر العروبة التى تضم مراقد آل البيت خاصة « الإمام الحسين والسيدة زينب » وهو ما جعلنى أنعم بحظوة اللقاء والجلوس إلى جوار السيد والحديث معه لمدة ساعة كاملة وهو أمر نادر الحدوث ظل مادة للحديث بين زملائنا من الصحفيين والإعلاميين العراقيين خاصة الذين ينتمون إلى المذهب الشيعى .

غادرت بيت السيد مالك الياسرى تحيطنى نظرات التبجيل والتقدير من مرافقينى الذين طاب لهم حضور جلسة فى حضرة السيد لمدة ساعة كاملة يستمعون إلى حديث فى مختلف الشئون السياسية والأمنية والإجتماعية والدينية مع أسئلة وحوار متبادل من شاب فى مثل عمرى سمح له السيد بالمناقشات المستفيضة ، بينما ظلت فى ذاكرتى أفكار حركها اللقاء بما قبله وما بعده من مشاهد وتساؤلات عن تلك القدسية التى يحظى بها آل البيت من الأئمة فما دونهم من أشخاص لدى شيعة العراق وكيف يمكن أن تكون تلك القدسية المغلفة بالسمع والطاعة سبيلا إلى إشعال فتيل أزمة أو إطفائها بإشارة من يد أحد هؤلاء السادة والمراجع سواء الكبار الذين يتخذون من مدينة النجف مقرا لحوزاتهم العلمية منذ مئات السنين أو أقطاب المذهب من السادة والشيوخ الذين يؤمون المصلين فى الجوامع والحسينيات .

٥ - السنينة والكويت

فتحت زيارتى للسيد مالك الياسرى الباب واسعا لنقاشات مع أهالى النعمانية سواء الشيوخ أو الناس العاديين حول هذا الإرتباط الروحى بينهم وبين مراجعهم وسادتهم من آل البيت وهل كان لهذا الإرتباط دور فى وأد الفتنة وعدم مرور بلدتهم بما مرت به مناطق أخرى من العراق فى زمن المذبحة خاصة الفترة التى عصفت فيها رياح الفتنة بالبلاد والعباد رغم أن الشيعة يمثلون غالبية السكان بالعراق ، فما هو أصل الخلل ؟؟ ولماذا ظلت مناطق هادئة مستكينة لا وجود فيها للعنف بعد أن كان يتم وأده فى مهده بينما إحترقت مدن ومناطق بالكامل بنيران العنف الطائفى الأعمى

؟؟ وكيف حافظ أهالى النعمانية التى إعترتها نموذجا تكرر فى مناطق أخرى على الترابط بينهم وإلتزم الصغير والكبير بالقانون والأعراف الدينية والعشائرية ؟؟ .

أما بداية الخلل كما يراها الشيوخ كانت مع أكل الحرام لأن الحرام يفسد كل شيىء ، ربما كان التفسير غريبا بعض الشيىء إلا أنه بسيط ومقنع حيث تصل القناعة بهذا التفسير إلى منزلة الإعتقاد الراسخ وهو أن بداية الإنهيار للمجتمع العراقى هو إحتلال الكويت وإغتصاب مال وأملاك الكويتيين سواء كانت بشكل شخصى فوضوى أو جماعى منظم.

قال لى شيخ أولاد بركه أن أهل الدين يقولون : أكل الناس للحرام أفسد كل شيىء وهو ما جعل الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش الأب يعتبر ما جرى فى عام ١٩٩١ أكبر انتصار أمريكى على مجتمع عربى لأنه نجح بما فعل فى تخريب المجتمع بعد أن سهل انهيار القيم وجعل أبناء المجتمع العراقى يأكلون الحرام ، وروى الشيخ قصة مأثورة عن شعب لم يتمكن أى حاكم من هزيمته أو السيطرة عليه بسبب إيمانه ودعوته المستجابة التى كانت كفيلة بالإطاحة بأى ظالم حتى جاء حاكم ظالم يتمتع بالذكاء وأقنع هذا الشعب بأن يأكل حراما وجعلهم يلهثون وراء الكسب السهل بطريقة محرمة فضاع مقدارهم وأصبح دعاؤهم لا يستجاب وظهر بينهم الخراب فى البصائر والضمائر وهذا ما جرى بعد غزو الكويت للعراقيين حيث لم يشهدوا يوما هانئا رغم كثرة الحروب التى مروا بها وكان آخرها الحرب مع الجارة الشرقية إيران التى استمرت أكثر من ثمانية أعوام إلا أنها لم تسبب انهيارا بالمجتمع العراقى كما سببته حرب الكويت .

أما عن دور الإرتباط بالمرجعية وحب آل البيت فى تصفية الأجواء بالنعمانية وغيرها من المناطق وحفظ النظام الاجتماعى خارج إطار منظومة العُنف الطائفى التى ميزت زمن المذبحة فكانت الإجابة متطابقة بين الشيوخ والشباب فالالتزام بالمرجعية وما يعلن من آرائها كان السبيل إلى منع الفتنة أو مجرد امتدادها إلى بساتين الحب التى لا تعرف إلا الحرث والزرع وانتظار الحصاد الطيب ، أما ما جرى فى المناطق الأخرى لا يعدو أن يكون من فعل العصابات الخارجة على كل القوانين سواء الارتباط بالمرجعيات أو قوانين وأعراف العشائر .. بينما تظل قوانين العشيرة هى المحرك الرئيسى لكل أمور الحياة وتغلف الالتزام بالمرجعية الدينية حيث تحل السنينة « لائحة قانون العشيرة» محل أى قانون آخر يلتزم بها الجميع وغير مسموح بالخروج على الإطار القيمى الذى ترسمه منذ مئات السنين وإلا يكون العقاب هو « الكسر من العشيرة « وتعنى البراءة من الخارج على السنينة أو دستور العشيرة .

وعندما تتبع أنساب العشائر الشيعية فى النعمانية أو باقى مناطق محافظة واسط أو محافظات الجنوب الشيعى فأنه يمكن بقليل من الجهود معرفة أن تلك العشائر أو معظمها هى امتدادات لعشائر سنية موجودة فى مناطق الوسط والشمال العراقى مثل محافظات ديالى وصلاح الدين والأنبار وهو ما يعنى أن نسيج المجتمع العراقى متصل حتى وإن تغير المذهب وإذا كانت العشائر التى تبعت المذهب الشيعى شديدة الارتباط بمرجعياتها الدينية إلا أنها تشارك عشائر الوسط والشمال السنية فى الإلتزام الشديد بقانون أو دستور العشيرة « السنينة» .

روى لى شيخ أولاد بركة أن السيد تركى العوادى وهو أحد شيوخ قريش العائدين إلى « بنى زيد « السنية كان يصلى بيد مرفوعة إلى الصدر كصلاة السنة ويد ملتصقة بجانبه كما يصلى الشيعة وذلك حتى يثبت أنه لا فرق فى الأصول بين السنة والشيعة وأن ما دخل على المذهب الشيعى من طقوس وممارسات هى أمور جلبتها السياسة وغلفتها المصالح بينما تبقى الأصول واحدة وهى الالتزام الأخلاقى والدينى والعشائرى .